

الأناشيد الثورية الشعبية خطابٌ تعبويّ خلال الثورة التحريرية

-جمع ودراسة- الدكتور : عبد اللطيف حني. جامعة الشاذلي بن جديد الطارف.

ملخص :

Abstract:

The national anthem Algerian People special place when creative and recipients because he was born in the historical period it worth the time and psychological Algerians, was the anthem of the broadcast speech tactical inflammatory editorial Revolution and interact with events Within the popular poet national anthems all revolutionary meanings value that pulls from the hand of the Veterans and gives them strength great psychological, and pushing them forward for War and Win one of two position: victory or martyrdom, and this study seeks to focus on anthems taken from the group of poets Biskra region model.

للنشيد الوطني الشعبي الجزائري مكانة خاصة عند مبدعه ومتلقيه لأنه ولد في فترة تاريخية لها قيمتها الزمنية والنفسية عند الجزائريين، فكان النشيد يقوم ببيت الخطاب التعبوي التحريضي على الثورة التحريرية والتفاعل مع أحداثها فضمن الشاعر الشعبي أناشيده الوطنية كل المعاني الثورية القيمة التي تشد من أزر المجاهدين وتمنحهم القوة النفسية العظيمة، وتدفعهم قدما للجهاد ونيل إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة، وهذا ما تسعى الدراسة إلى التركيز عليه متخذة من الأناشيد المجموعة لشعراء منطقة بسكرة نموذجا.

مهاده الدراسة :

قدمت الجزائر للعالم أعظم ثورة على أعتى المستدمرين الذي سعى بكل الطرق أن يمحو كل ما هو جزائري، ليحلل ثقافته ولغته وذلك بضرب الهوية الوطنية وتغريبها، وكان من اعظم إنجازات ثورة الفاتح نوفمبر 1954 هو ارجاع السيادة للشعب، والحفاظ على مقومات شخصيته وتراثه، هذا الأخير الذي ساهم بشكل ملفت للإنتباه في دحر المستمدر، وشحذ همم الجزائريين للمشاركة في مسار الثورة المضفرة، وتحقيق النصر على التغريب والاستلاب التي ظل يمارسه المستعمر طيلة قرن ونصف، وهذا ما حفظته الذاكرة التاريخية والثقافية، بفضل المجاهدين بالسلاح والقلم والكلمة، ولا ينكر أحد دور الأدب عموما والشعر الشعبي خصوصا في تشكيل المشهد الثوري، حيث ظهرت القصيدة الشعبية الجزائرية في صور عدة ملبية حاجة متلقيها خاصة أثناء الثورة التحريرية المباركة، فكان من أجل ما أفرزته هو الأناشيد الوطنية الشعبية التي هي نتاج تفاعل الشاعر الشعبي مع أحداث وأصداء الثورة التحريرية المباركة، إذ كان الشاعر جنديا وفدائيا ومجاهدا وشهيدا، فأتج هذا اللون الشعري الهادف الملتزم والذي لم ينل حظه من التوثيق والتدوين والدراسة .

ولعل النشيد الوطني الشعبي الجزائري له مكانة خاصة عند مبدعه ومتلقيه لأنه ولد في فترة تاريخية لها قيمتها الزمنية والنفسية في نفوس الجزائريين، لذلك نجده يؤثر في الكثير ممن يسمعون ويتلقونه فيتفاعلون مع ألفاظه ومعانيه وموسيقاه الممزوجة مع خطوات المجاهدين وصيحات الشهداء الأبرار، لذلك حرص الشاعر الشعبي على التفاعل مع أحداث الثورة التحريرية فضمن أناشيده الوطنية كل المعاني الثورية التي تشد من أزر المجاهدين وتمنحهم القوة النفسية العظيمة، وتدفعهم قدما للجهاد ونيل إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة.

وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة إلى تناول الأناشيد الثورية الشعبية الجزائرية بالدراسة والتحليل مركزة على مضامينها الثورية والوطنية متخذة الأناشيد التي جمعت من منطقة بسكرة، مركزين على ديوان الشيخ الشهيد المدني رحمون وديوان الشيخ المجاهد لخضر بن الصغير أحد حفدة الشيخ بوزيان زعيم مقاومة الزعاطشة، وتتلخص موضوعات الأناشيد في تمجيد الثورة التحريرية، تهمين عمل المجاهدين، التغني بأعمالهم البطولية، التغني باستشهادهم، التعبئة النفسية لخوض المعارك، التهوين من أمر العدو، واستصغار أعماله، التغني بالعلم الوطني، واعتباره رمز من الرموز الثورية، وغيرها من الموضوعات التي تنمي الحس الوطني وتشتمل على خطاب التعبئة الثورية لدى رفقاء الكفاح.

أولا-النشيد الوطني بين المصلح والماهية :

1- مصطلح النشيد:

عندما نعود للمعاجم العربية نجد أنها تطرقت لمصطلح النشيد بالشرح والتوضيح والتبيين في باب الفعل " نشد "، الذي تعرض لاستعمالات الفعل عند العرب، حيث يقول ابن منظور : « نشد نَشَدْتُ الضَّالَّةَ إِذَا نادَيْتَ وَسَأَلْتَ عنها ابن سيدة نَشَدَ الضَّالَّةَ يَنْشُدُهَا نَشْدَةً وَنَشْدَانًا طَلَبَهَا وَعَرَّفَهَا وَأَنْشَدَهَا عَرَّفَهَا وَيُقَالُ أَيْضًا نَشَدْتُهَا إِذَا عَرَّفْتُهَا... ومما يُبَيَّنُّ لك أَنَّ الناشدَ هو الطالبُ حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلاً يَنْشُدُ ضالَّةً في المسجد فقال يا أيُّها الناشِدُ غيرك الواجدَ معناه لا وجدتُ وقال ذلك تأديباً له حيث طلب ضالته في المسجد»⁽¹⁾، وأثار انتباه الناس وشغلهم عن ذكر الله بطلبه ورفع صوته، فخالف الأدب ووجب إسكاته.

ومن خلال شرح الفعل " نشد " يصرف ابن منظور الفعل إلى مصدره النشيد فيقوله في معناه هو : «النَّشِيدُ رَفَعَ الصَّوْتِ قال أبو منصور وإنما قيل للطالب ناشد لرفع صوته بالطلب والنَّشِيدُ رَفَعَ الصَّوْتِ وكذلك المَعْرِفُ يرفع صوته بالتعريف فسمي مُنْشِداً ومن هذا إنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت وقولهم نَشَدْتُكَ بالله وبالرَّحِمِ معناه طلبت إليك بالله وبحق الرَّحِمِ برفع نشيدي أي صوتي وقال أبو العباس في قولهم نشدتك الله قال النشيد الصوت أي سألتك بالله برفع نشيدي أي صوتي قال وقولهم نشدت الضالة أي رفعت نشيدي أي صوتي بطلبها قال ومنه نَشَدَ الشَّعْرَ وَأَنْشَدَهُ فَتَشَدَهُ أَشَادَ بذكره وَأَنْشَدَهُ إِذَا رَفَعَهُ»⁽¹⁾.

وفي المعنى نفسه يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين : « أنشد ونَشَدْتُ الضَّالَّةَ إِذَا طَلَبْتُهَا وَأَنْشَدْتُهَا وَنَشَدْتُهَا بغير أَلِفٍ إِذَا عَرَّفْتُهَا، أَنْشَدَ الشَّعْرَ : قَرَأَهُ وَرَفَعَهُ وَأَشَادَ بِذِكْرِ كُنْشَدَهُ، وكذلك المَعْرِفُ يَرَفَعُ صَوْتَهُ بالتعريف يُسَمَّى مُنْشِداً ومن هذا إنشادُ الشَّعْرِ إنما هو رَفَعُ الصَّوْتِ»⁽¹⁾.

ولعل الخليل يربط بين رفع الصوت والإنشاد ويرى أن لفت انتباه الناس برفع الغناء أو الشعر هو الإنشاد والنشيد، حيث يقول : « النَّشِيدُ : الشَّعْرُ الْمُنَاشِدُ بَيْنَ الْقَوْمِ يُنْشَدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَالْأَنْشُودَةِ بِالضَّمِّ أَنْشِيدُ وَجَمْعُ النَّشِيدِ النَّشَائِدُ . وَاسْتَنْشَدْتُ فَلَانًا الشَّعْرَ فَأَنْشَدَهُ : طَلَبْتُ مِنْهُ إِِنْشَادَهُ»⁽¹⁾.

وفي المعنى نفسه يذهب الأزهري في تفسير الإنشاد فيقول : «قال في قولهم: نشدتك بالله، قال: النشيدُ الصوت، أي سألتك بالله برفع نشيدي، أي صوتي بطلبها، قال: ومنه نشد الشعر، وأنشده، إذا رفعه. وقال أبو عبيد: قال الكسائي: نَشَدْتُ الدابة طلبتها، وأنشدتها عَرَّفْتُهَا، قال: ويقال أيضا: نشدتها، إذا عَرَّفْتُهَا»⁽¹⁾.

وتربط أغلب المعاجم العربية النشيد برفع الصوت ومنهم الزبيدي في معجمه تاج العروس من جواهر القاموس، حيث يقول : «والنشيد بالكسر : الصوت والنشيد : رفع الصوت قال أبو منصور : وإنما قيل للطالب ناشد لرفع صوته بالطلب وكذلك المعرف يرفع صوته بالتعريف يُسمى مُنشداً ومن هذا إنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت وقولهم نشدتك بالله وبالرحم معناه : طلبت إليك بالله وبحق الرحم برفع نشيدي أي صوتي قال وقولهم نشدت الضالة أي رفعت نشيدي أي صوتي بطلبها . من المجاز : النشيد : الشعر المنشد بين القوم يُنشده بعضهم بعضاً كالأنشودة بالضم أناشيد وجمع النشيد النشائد . واستنشد فلاناً الشعر فأنشده : طلب منه إنشاده وهو مجاز منه أيضاً تنشد الأخبار : أراغها ليعلّمها من حيث لا يعلمها الناس»⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم في شرح وتفسير مصطلح النشيد في المعاجم العربية نجد أنها في أغلبها تتفق على مفهوم واحد، وترتبط بالمعنى الاصطلاحي للنشيد، الذي يقصد به رفع الصوت والاحهار به بين الناس ليصلهم معناه ومفهومه، والإنشاد هو إيصال الصوت لأكبر عدد من الناس سواء بالثر أو بالشعر، وإقناعهم بما يتضمنه من مفاهيم ومعاني، وهذا ما يتفق مع ما يقوم به المنشد من أداء بين الجمهور في إيصال صوته للناس والغالب يكون شعرا بلحن وترانيم خاصة.

وعلى هذا الأساس تطور المصطلح في العصر الحديث وارتبط بالثورات التي قامت بها شعوب العالم لمناهضة الاستعمار والتدخل العسكري في أقاليمها، من خلال إنشاد قصائد ثورية تشجذ الهمم وتشنح الضمائر لمواصلة الكفاح وانتهاج القوة المسلحة لدحر المستعمر، وتمجد الثورات ووصف الحروب والمعارك والتغني بالاستقلال والحرية، مما حدى الكثير من الدول اتخاذ هذه الأناشيد شعاراً رسمياً تتغنى بها في المناسبات الوطنية، وتقترب بالعلم والمواقف الرسمية، ودخل النشيد الوطني إلى ساحة المقدس والمحترم وأضحى من مقومات الشخصية الوطنية، يؤثر في الناس ويستجلب اهتمامهم، ويحظى من طرفهم بالاحترام والتقدير.

2- كما انقسمت الأناشيد إلى قسمين بارزين وهما :

2-1- الأناشيد الوطنية والثورية وهي تلك الأغاني والمقطوعات الشعرية التي تتغنى بالوطن وقيمه، وتمجد الثورات وتعمل على التعبئة الحربية وتبشر بالاستقلال والحرية، وتصف معارك التحرير، وتفصح جرائم المستعمر الغاشم، وقد وجدت في كل بلدان العالم، وتؤدي من طرف فرق رسمية حكومية وفق بروتوكالات ومراسيم معينة حسب تنظيم كل بلد.

2-2-الأنشيد الإسلامية أو الملتزمة: وهي أيضا مقطوعات شعرية يؤديها منشدون فنانون، يتغنون فيها بمختلف المواضيع الملتزمة الهادفة من أجل إحلال الأخلاق الكريمة وتعاليم الدين الإسلامية، أو التغني بالوطن والقضايا العادلة في أنحاء العالم كالقضية الفلسطينية، كما أنها لم توضع للتسلية بل لأداء رسالة معينة للمتلقي كالتذكير والإعلام والتوضيح والتبيين.

ثانيا-النشيد الثوري الشعبي الجزائري :

لعب الشعر الشعبي دورا هاما في تصوير فترة الاحتلال الفرنسي، حيث وضع كل الجوانب والملايسات التي قام بها الاستعمار الفرنسي من أجل محو الشخصية الجزائرية، وكل «معالم الثقافة القومية، وإحلال ثقافة أجنبية محلها بغية عزل الشعب الجزائري عن تراثه الثقافي العربي، والإسلامي ليسهل بعد ذلك دمج وإحقاقه بالشعب الفرنسي»⁽¹⁾ وافتراس ثقافته وفكره وسلوكه و حضارته.

ولم تقتصر هذه المهمة على الشعر بل كل المرويات الشفوية، إذ «الخطاب الأدبي الشفوي الجزائري تحول في كثير من الحالات إلى خطاب تاريخي، لا نقصد هنا دلالاته التاريخية في ارتباطه بالسياق التاريخي فقط، إنما نقصد أدائه لوظيفة الخطاب التاريخي الموجهة للأجيال اللاحقة، و قد قام الشعراء، وساردي القصص بدور المؤرخين، منذ بداية الاحتلال حتى فجر الاستقلال بشكل ملحوظ»⁽¹⁾.

وقد رافق الشاعر الشعبي كفاح الشعب الجزائري، وعبر بكلمته الصادقة الواعية عن المواقف الاستعمارية، وسجل تاريخ الثورات ومواقف الشهداء الأبطال، ورصد قوافلهم ليعبدوا طريق الحرية، كما أظهر موقفه تجاه القضايا الوطنية « واضحا جليا، بل كان من الطبيعي أن يعيش قضايا وطنه، و يتفاعل مع الأحداث التي تجري في بلاده »⁽¹⁾.

ولعل أصدق تفاعل جسده الشاعر الشعبي مع أحداث الثورة التحريرية تلك القصائد التي نظمها بالدماء من على منابر جبال الجزائر، حيث شهد المعارك المظفرة التي دار رحاها بين قوى الاستعمار وجيش التحرير الوطني، فكان المجاهد المشارك بالنفس والنفيس، وكان المسجل التاريخي الذي سعى بشعره وقوافيه رصد الأحداث التاريخية، وتصوير مراحل المعارك وكيفية تنظيم الكمائن، وتحسيد شجاعة وبسالة المجاهدين وإقدامهم على الشهادة بعز وشرف.

وبذلك أنتج الشاعر الشعبي شعرا ملتصقا بالثورة الجزائرية «في سهولها وجبالها ومغاورها وكهوفها، فالثورة فيه خافقة زاحفة متموجة حيث اختلط الشعر بالدم ورائحة البارود، إذ لا يكتفي الشاعر بالتحويم العائم على

الجال، أو بالصورة القائمة تلتقط من الجو وغنما يتتبعها بأسمائها، ويلون الخارطة بالألوان البارزة ويستوحي الأبعاد البطولية»⁽¹⁾.

وقد صنفت القصائد التي تحدثت على الثورة التحريرية وصورت معاركها وحيثيتها المباركة تحت الشعر الثوري والوطني، وضمن هذا التصنيف يدرج النشيد الوطني كمبحث شعري يعزز هذا التوجه ويسهم في مسيرة تاريخ الثورات التحريرية، إلا أن الفرق بين القصائد الثورية والأناشيد؛ أن الأولى رهينة مرحلة وتاريخ وزمان محدد بمكيفة بأحداث وقضية مقصودة كقضية الثامن ماي لمحمد العيد آل خليفة، أما النشيد فقد نظم في فترة تاريخية ولغرض محدد لكنه بفعل طابعه الإنشادي والحماسي يتجاوز زمانه ومكانه ليخلد في الأذهان وتحفظه الذاكرة ويردد في جميع المناسبات الوطنية، ليلهب الحماس ويعزز انتماءنا لثورتنا وقضيتنا العادلة.

وهناك العديد من الشعراء الشعبيين الذين وقفوا ضد الاستعمار بالسلاح والكلمة وقدموا زهرة شبابهم مهرا لأجل تحرير الجزائر، ولعل أبرزهم في منطقة بسكرة الشاعر الشيخ المدني رحمون (1908 - 1989) والشاعر لخضر بن الضغير (1912 - 2007) وغيرهم ممن عبروا عن الكثير من المواقف الوطنية والأحداث الثورية بواسطة قصائدهم الثورية وأناشيدهم الوطنية .

ثالثا-مضامين الخطاب التعبوي للأناشيد الثورية الشعبية :

1-التغني بالثورة والجزائر :

تغنى الشعراء بالثورة المباركة في أناشيده الوطنية، حيث كانوا مشاركين في حروبها وجنديا في صفوف جيش التحرير، مما جعلهم يمجدها ويشنون نتائجها التي جلبت الاستقلال، وقد تجلّى ذلك في أناشيدهم الوطنية التي تغنى بها بين زملائهم المجاهدين، وبعد الاستقلال في التجمعات والمهرجانات الشعرية ومنها نشيد نظمها الشاعر لخضر بن الصغير " ثورة الاستقلال" فيقول:⁽¹⁾

ثُورَةُ العِزَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ صَيْحَةُ مِنَ الْجِبَالِ مَنْ أَنْجَازَ الْأَبْطَالِ أَوَّلُ نُوفَمَبْرِ تَارِيخِ أَبْدَاتِ
هَذِهِ دُكْرَى لِلْأَجْيَالِ تَارِيخُ رَسْمُوهُ لِأَبْطَالِ بِحُرُوفِ دَمِ الرِّجَالِ تُخَلِّيْهَا أَكْبَرُ ذِكْرِيَاتِ
عَلَى الْبِلَادِ الدَّمِ سَالِ هَكَذَا صَحَّوْا الرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ نَاضُوا لِلْقِتَالِ عَاهِدُوا اللَّهَ حَيَاةً أَوْ مَمَاتِ
نُوفَمَبْرِ بِهِ أَنْتَالِ الْحُرِّيَّةُ وَالِاسْتِقْلَالِ وَالْعَالَمُ عَنْوُ كُلِّ قَالِ نُوفَمَبْرِ أَكْبَرِ الثَّوَرَاتِ

ثَوْرَةُ الاسْتِقْلَالِ أَرْبَعَاءُ وَ خَمْسِيْنَ

قَامُوا بِهَا أَبْطَالٌ مُخْلِصِيْنَ

كَانُوا لِلْمَوْعِدِ مُسْتَعِدِّيْنَ

عَاهَدُوا اللَّهَ حَيَّاهُ أَوْ مَمَاتْ

ويشيد المدني رحمون بانطلاق بركة الجهاد في أول نوفمبر على سبيل إرساء العبرة عند الشباب، واحترام التاريخ وتخليده وحفظه من الأجيال القادمة على الدرب، فهذا النشيد يخلد في غنائية مطربة ذات ألفاظ معبرة تاريخ الثورة التحريرية في نظره: ⁽¹⁾

مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ عَنْهُ مُتَّفَقِيْنَ وَتَبَقُّوْا أَبَدًا مُسْتَعِدِّيْنَ عَلَى الْإِنْتَاعِشِ بَدَاتِ الْهُجُومَاتْ

شَعَلَتْ الثَّوْرَةُ ضِدَّ الطَّاغِيْنَ قَامُواهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَحْرُومِيْنَ صَبَحَتْ مُنْتَشِرَةً عَمَّةَ الْجِهَاتْ

شارك فيها الشعب طائعين للنداء لبوا كلهم متفقيين تَحْرِيرُ الْوَطَنِ خَوْضُ الْمَعْرَكَاتْ

ثَوْرَةُ الاسْتِقْلَالِ أَرْبَعَاءُ وَ خَمْسِيْنَ

قاموا بها أبطال مُخْلِصِيْنَ

عَاهَدُوا اللَّهَ حَيَّاهُ أَوْ مَمَاتْ

إن تفاعل شاعرنا مع أنغام المعارك وأزيز الثورة المباركة هو ناتج عن حبه العميق للجزائر تربة ووطنا وانتسابا، وقد سكن هذا الحب قبله وروحه مما جعله يقدم نفسه فداء لها، وقد ذاق الأمرين في ذلك مرارة الغربة والبعد عن أهله وأحبابه، ومرارة التهديد من السلطات الاستعمارية بالإعدام، مما جعله يمضي قدما ويلتحق بالجهاد وللتعبير عن عشقه للجزائر، وقد جادت قريحته بالأناشيد التي تضمنت في ثناياها هذه العاطفة السامية الراقية .

وتفاعلت قريحة شاعر شعبي من أبناء الزيان المجاهدة مع حبها وعشقها للجزائر وهو الشهيد الشيخ، إذ هزته أضواء وطولع الحرية وشعر بقربحا منه، فشغاف قلبه تناشد حب الجزائر وتفيض عليها بالمشاعر النبيلة الطيبة، فراح يتغنّى في نشيد وطني بعنوان "حب الجزائر" بإيقاعات متناوبة تشد السامع وتطرب العاشق بأرض الأجداد وبصحاريها ووديانها وخيراتها فيقول: ⁽¹⁾

الجزائر بلادي أرض أجدادي صحراء وبوادي مُحال نَسَمَحُ فيكَ
شعبك بادي عن استعدادي بالنفس والأولادي وطني تحميك
مُحارب الأعادي منبغ الفسادِ بكل اجتهادي بازواحنًا نقديك

يبدو أن شاعرنا يهدف من وراء هذا النشيد إلى ترسيخ مجموعة من القيم الثورية والوطنية ولعل أهمها حب الجزائر، وعشق كل شبر فيها، وكل منطقة من أرضها الشاسعة هي قطعة من نفسه يفتديها بالنفس والنفيس، والجميل في النشيد تطعيم هذا القيم بأسلوب شيق وسلس، وبإيقاع خفيف يعتمد على شكل المربع (الرباعي) والثنائي وهو المناسب للغناء والتزديد، والذي يستجيب لمتطلبات النشيد الوطني.

ولأجل الجزائر يجند الشيب والشباب تضحية وكفاحا عن حرمتها، ومن كان حب الله والوطن دافعه سيكون النصر إن شاء الله حليفه : ⁽¹⁾

نمشو للجهاد من صميم القوادي نبلغوا المرادي النصر لأزم ليك
نظامنا اتحادي عهدنا المبادي برَبِّ العبادي و الله ما نسلم فيك

ويوجه شاعرنا خطابا للشعب الجزائري ويوصيه بالصبر والمراطة على الجهاد والكفاح من اجل حماية الجزائر وتحقيق حريتها، وبنائها وتشبيدها بعد الاستقلال، فقد غدا هذا الشعب بثورته المباركة المجيدة مثالا يحتذى به في صبره وقوته ومواجهته للمحن والآلام والمصاعب : ⁽¹⁾

يا شعبنا كن صبور رب يخلص أخوالك
ضحيت بدمك فخور قدمت نفسك و أمالك
كأفحت و خرجت منصور النصر جابؤة أرجالك
اسمك في العالم مشهور شجعان للحرب أبطالك

كما يشيد الشاعر بالمغرب العربي الثابت المجاهد حاثاً على مواصلة الجهاد، والتصدي للأعادي بالمرصاد وتحقيق النصر والنجاح رغم حسد الحاسدين والمعارضين لاستقلالنا الساعين بكل الوسائل إلى إفشاله، إذ يرون عدم أحقيتنا في ذلك فيقول: ⁽¹⁾

يا مغرب أجدادي تبقي بالمرصادي بفضل الإرشادي سادات حوَالِيك

رَغْمَ أَنْفِ الْحُسَادِي يَا بَنِي عِيدِ الْأَعْيَادِي يَا سَامِعِ الْإِنْشَادِي نَطْلُبُ رَبَّ يَحْمِيكَ
يَأْفَاهُمُ الْمُقْصَادِي أَلِفَ لَامَ أَمْقَادِي أَلِيمُ ذُلِّ الْمُحَادِي أَلُوْنُ نَحْتُمُ بِيْكَ
صَلُّوا عَنِ الْهَادِي سَيِّدِ الْأَسْيَادِي يَشْفَعُ يَوْمَ الْمِيْعَادِي صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ

ويختتم شاعرنا نشيده على غرار الشعراء الشعبيين الجزائريين بالخاتمة الدينية المعتمدة على الاستبشار بالخيرات التي يتمناها أن تلحق الجزائر، ثم توثيق القصيدة باسمه "المداني"، ثم يصلي ويسلم على سيدنا النبي محمد ، وهذا ما يناسب نشيده الوطني الحماسي والمرتبط بقدسية الثورة التحريرية في الآن نفسه.

2-الإشادة بتضحيات المجاهدين والشهداء :

إن حب الشاعر لوطنه جعله يتغنى ويشيد بتضحيات الشهداء والمجاهدين ويشجعهم على الجهاد والنضال صراحة دون رمز أو إيجاء ف أناشيده، لأن المرحلة أصبحت تتطلب ذلك وقوة الكلمة لم تعد تفي بالمطلوب مثل قوة الرصاص، فقد أدرك الشاعر المدني رحمون طبيعة المرحلة التي تمر بها الجزائر وأدرك قيمة أولئك الذين تحملوا على عاتقهم لواء الحرية وقدموا شبابهم للجزائر، فضمن الشيخ المدني ديوانه صيحات خالدة من صميم فؤاده تنبض حبا لبلاده و إخلاصا للشهداء والمجاهدين فنظم أناشيد تُشيد بأعمالهم الجهادية وصفاتهم الأخلاقية الطيبة ويوضح قيمة جهدهم وتضحياتهم للوطن.

ولعل نشيد " حَيَّا اللهُ شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ" الذي نظمه الشيخ المدني رحمون غداة الاستقلال في: 1961/12/10م، خير دليل على تمييزه لجهاد شباب الجزائر، حيث راح يتغنى بهم، وتلييتهم نداء الجهاد كبيرا وصغيرا وضحوا بشبابهم، فكانوا مثالا طيبا شجاعا تحتذي به شعوب العالم في التضحية والكفاح :⁽¹⁾

حَيَّا اللهُ شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ	نُشْرَفُهُمْ َ وَنُشْكُرُهُمْ بِنَشِيدِ الْاِسْتِقْلَالِ
حَيَّا اللهُ شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ	فِي كُلِّ مَكَانٍ نِسَاءً وَرِجَالِ
قَامُوا بِالثَّوْرَةِ مِنْ أَحْسَنِ تَدْبِيرِ	كُلِّ آخَرٍ مِنْهُمْ شَارَكَ فِي النُّضَالِ
اسْتَحَابُوا لِلْنَّدَاءِ كَبِيرِ وَ صَغِيرِ	اسْتَعَدُّوا بِالنُّفُوسِ وَدَفَعُ الْمَالِ
الْمُسْلِمُونَ نَحْتِ الْأَوَامِرِ مُنْشَرِينَ	فِي كُلِّ مَوْضِعٍ لِلْقِتَالِ
حَيَّا اللهُ شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ	

ويشيد المدني بقيمة الاتحاد والتضامن بين جنود جيش التحرير، ومدى الأخوة التي تجمع بينهم مما خلف الانتصار في حربهم، وأنهم كلهم على قلب رجل واحد، وإرادة واحدة هي استقلال الجزائر، لا ييغون تحيقي أهدا ف خاصة أو مآرب شخصية : (1)

بَلَّغُوا دَرَجَةً مِنْ أَعْلَى مِثَالٍ	الْقُوَّةُ فِي اتِّحَادِهِمْ زَادَتْ كَثِيرَ
سَكَنْتُ فِي أَقْلُوهُمْ عِنْدَ الْأَقْوَالِ	طَاعَةً وَ إِحْتِرَامَ رَسَخَتْ فِي الضَّمِيرِ
بِالْمَعْنَى الْمَفْهُومِ هُوَ الْاِسْتِقْلَالُ	إِذَا الشَّعْبُ أَرَادَ تَقْرِيرَ الْمَصِيرِ
نَحْوُ الْحُرِّيَّةِ تَرْفَعُ الْأَجْيَالُ	شَعْبَنَا الْكَرِيمَ لِلْأَمَامِ يُسِيرُ
هِيَ سَعَادَةُ الْأَسَاسِ الْمَثَالُ	عِزُّهُ الْوَطَنُ بِهَا يَسْتَسِيرُ

حَيَّا الله شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ

كما يتقدم الشاعر بتحية قومية إلى المغرب العربي الكبير لما قدمه من مساعدة مادية ومعنوية للشورة الجزائرية، معرجا على أولئك الأسرى والمساجين في السجون الفرنسية، داعياً الله تعالى أن يفك كربهم ويكفك دموع الأطفال الأيتام لتكون خاتمة القصيدة بالدعاء لله عز وجل، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم: (1)

ارْحَمْ يَا رَبِّ شُهَدَاءَ النَّضَالِ	يَحْيَا بِإِذْنِ اللَّهِ مَعْرُنَا الْكَبِيرِ
رَجْعُ يَا رَحْمَانُ دُمُوعِ الْأَطْفَالِ	فَرَجَ عَنْ مَنْ كَانَ فِي السَّجْنِ أَسِيرَ
لَا نَطْلُبُ سِوَاكَ يَا جَلَّ الْجَلَالِ	أَلْطَفَ بِالْجَمِيعِ قَادِرَ الْقَدِيرِ
مُحَمَّدَ شَفِيعَنَا يَوْمَ الْأَهْوَالِ	بِحَاةِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ
الْمَدِينِ رَحْمُونِ نَاطِقِ الْمَقَالِ	قَائِلِ الْأَبْيَاتِ أَدْعُو لَهُ بِالْخَيْرِ

حَيَّا الله شَبَابَ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ

ويبرز المدني رحمون حب الوطن ومدى توغله في نفوس الجزائريين على مختلف مستوياتهم في نشيد "المجاهد" كما يعترف بفضل المجاهد الذي جاهد بإخلاص وحب، وكذا فضل الشهيد الذي كافأه الله تعالى ببجنات الخلد، رغم كل الصعوبات فقد حقق النصر بعدما كذب الكثير وشككوا فيه، وهنا يشير الشاعر إلى تلك الإشاعات التي بثتها فرنسا عن المجاهدين بأنهم قطاع طرق، فيقول: (1)

حُبُّ الْوَطَنِ يَعْرِفُوهُ الْمُؤْمِنُونَ	فَضْلُ الْمُجَاهِدِ عِنْدَهُ حَسَنَاتُ
--	--

الشَّهَدَاءُ هُمَا فَالْجَنَّةُ حَيَيْنُ
وَاعِدُهُمُ اللَّهُ تَفْسِيرِ الْآيَاتِ
الْإِسْتِعْمَارُ يَقُولُ عَنَّا مُجْرِمِينَ
كَأَمْ يَدْعُونَ أَنَّنَا عُصَاتُ
وَالْبَعْضُ يَقُولُ هَذَا غَالِطِينَ
وَالْبَعْضُ يَقُولُ لَا تَنَجِّمُ هَيْهَاتُ
تُوجَدُ طَبَقَاتُ مَا بَيْنَ السَّيْتَيْنِ
يَتَخَلَّ لَّهُمْ فِيهَا صُعْبَاتُ

ويشيد شاعرنا بصيحة المجاهدين المخلصة، صيحات إيمانية تبعث العواطف المرتبطة بالوطن والجهاد وتدفع إلى الأمام إنها صيحات مجاهد في ساحات الوغى «يخوض المعركة وهو مستعد لها، ويحمل كل الصفات التي تؤهله لها، وتمكنه من النصر في الأخير من شجاعة واستبسال وتحد للموت ونفور من الذل»⁽¹⁾ ليكافح من أجل تحرير بلاده وأهله من وطأة الاستعمار، إنها صيحات قائد يزجي الصفوف وينظم الفيالق لإحراز النصر:⁽¹⁾

اللَّهُ أَكْبَرُ بِهِ نَسْتَعِينُ
كَلِمَةُ الْحَقِّ أَعْلَى دَرَجَاتُ
جَيْشُنَا التَّحْرِيرُ قَاسَمُ الْيَامِينِ
يَتَقَدَّمُ لِلْمَوْتِ تَارِكُ الْحَيَاةِ
وَأَجْعَلِ الْإِنْدَاءَ إِلَى الْوَطَانِيِّينِ
وَأَجْمَعِ الْأَحْزَابَ وَكُلَّ الْحَرَكَاتِ

فهذه الأبيات المقتطفة من نشيد ألقاه الشاعر بمناسبة عيد يوم المجاهد تتكون من 74 بيتا يؤرخ فيها للثورة التحريرية منذ اندلاعها إلى الاستقلال، وما بعده و كأنني بالشاعر المدني أراد الإشادة بعمل المجاهدين وتضحية الشهداء عن طريق هذا الجرد الوافي لأحداث الثورة المباركة.

فما قام به المجاهدون حسب رأى الشاعر المدني رحمون من صمود وصنع للنصر بطرق بارعة، «عجزت عنها الشعوب الأخرى أدى إلى إعجاب العالم أجمع بالثورة الجزائرية التي استطاعت قهر قوة الغرب المتحالف ضد الإسلام والعروبة»⁽¹⁾.

كما يشيد بتضحيات الفدائيين التي «لا تتجلى فقط في الجبال الشاخنة الرعاء أو في أعماق السجون الخائفة بل ربما بلغت ذروتها في الجراءة، والمغامرة بالروح في الحركات الفدائية التي تداهم غلاة المستعمرين في أعقار بيوتهم»⁽¹⁾، حتى سمي الفدائي بالمسبل فقد سبل روحه لله والوطن:⁽¹⁾

أَحْنَا نَسْعُو لِلْحُرِّيَةِ عَطَشَانَيْنِ
الْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ وَاجِبُ التُّضَحِّيَاتِ
انْفُكُوا أَرْضَيْنَا مِنَ الْمُعَمَّرِينَ
اِحْتَلُّوا بِلَادَنَا نَهَبُوا الْحَبِيرَاتِ
يَحْيَا جَيْشُ التَّحْرِيرِ وَالْمَنَاصِلَيْنِ
يَحْيَا الشَّعْبُ قَامَ بِالْمُظَاهَرَاتِ

بَرْهَنَ لِلْعَدُوِّ كُنْهَنَا مُصَمِّمِينَ

الْحُلَّ الْوَاحِدُ تَفْتَحُ الْمُوقُضَاتِ

رُجَالُ الثُّورَةِ هُمْ الْمُتَنَصِّرُونَ

اللَّهُ أَمْعَاهُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

كما يمجّد الشيخ المدني رحمون ثورة الفاتح نوفمبر احتفالاً بمناسبة الذكرى السابعة، فيعتبرها من الثورات العالمية التي قلبت كل المفاهيم، إذ تُعد «منعطفاً تاريخياً في سياسة الثورة الجزائرية وموقفها من الأساليب اللاإنسانية والوعود الكاذبة التي كانت تضرها فرنسا للشعب الجزائري إلا أنه كان لا يعترف بالأمني المعسولة، ولا يؤمن إلا بالقوة وثورة نوفمبر التي أحدثت ثورة في تاريخ الثورات....»⁽¹⁾ لأنها معجزة الجزائر الخالدة التي يقدها الشاعر المدني رحمون، حيث يقول في نشيد "سجل يا تاريخ":⁽¹⁾

هَذَا هُوَ يَوْمٌ ذِكْرِي لِلْأَبَدِ

يَبْقَى فِي التَّارِيخِ مِنَّا لِلْأَحْفَادِ

كَانَ أَوَّلُ نُفُومَبَرٍ سَجَلٍ خَالِدِ

بِالدَّمَاءِ مَكْتُوبِ فِي أَرْضِ الْأَجْدَادِ

إن نوفمبر رمز للبطولة والضحية مما يجعل الشاعر يشيد به ويجعل له مكانة خاصة في نفسه، فيهتز لأهازيجه العظيمة، فقد رفعت فيه هامة الشعب الجزائري بفضل الحرية والنصر:⁽¹⁾

مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ ثُورَتُنَا تَمْتَدُّ

كُلَّ عَامٍ تَزِيدُ قُوَّةً فِي الْعَتَادِ

الشَّعْبُ الْكَرِيمُ حَاضِرٌ مُسْتَعَدُّ

مُخْلِصٌ لِلْكَفَاحِ مِنْ صَمِيمِ الْفُؤَادِ

لَمَنْ يَخْضَعُ لِلْسَيْطَرَةِ وَلَا يَسْجُدُ

لَنْ يَقْبَلَ الدُّلَّ تَحْتَ الْاسْتِعْبَادِ

صَحَى بِالْإِيمَانِ عَنْ وَطْنٍ جَاهِدِ

يَفْتَحِرُ يَقُولُ نَحْنُ فِي الْجِهَادِ

ويتعدى التقديس في نفس الشاعر المدني للفاتح نوفمبر إلى ذكر المظاهرات الصارخة كزفير الأسود، والمدوية المبشرة ببزوغ فجر الاستقلال من حنايا الجروح والآلام ودموع الآيامى ومآسي الفقر والعوز إنه تقديس وإشادة لمعاناة الأحرار في أرض الجزائر فقد «ألهب عواطفه فعبّر عنها بصدق فراح يبارك الثورة المقدسة ويدعوهم إلى الكفاح من أجل تحرير البلاد من العدو»⁽¹⁾ فنوفمبر مبهج للأطفال والنساء لأنه باب من أبواب الحرية:⁽¹⁾

لِلْمُظَاهِرَاتِ يَصْرُخُ كَالْأَسَدِ

بَرْهَنَ لِلْعَالَمِ مَا شَكَّ بِالْمُرْصَادِ

طَالَبَ الْإِسْتِقْلَالَ صَمِيمٌ يَقْصِدُ

لِلْوَطَنِ بِمَا فِيهِ صَحْرَةُ الْأَجْدَادِ

الْجَزَائِرُ تَرَاهُنَا مِنْ جَدِّ الْجَدِّ

تَحْتَفِظُ بِحَقِّهَا رَغْمَ الْحُسَادِ

ويشيد الشيخ المدني ببسالة المجاهدين في نشيده عن طريق فخره بجهة التحرير التي كفلت وحدة الشعب الجزائري، ودفعته قدماً لنيل الاستقلال غير مكترث بالرزايا:⁽¹⁾

لِحَبْهَةِ التَّخْرِيزِ أَسَاسَ الْوَحْدِ
نَحْنُ مَنْ أُنْشَأَ هَا صَيْلُ الْأَجْوَادِ
لَيْسَ رَاجِعٌ لِلْوَرَاءِ وَلَا يَزِيدُ
الْكَلِمَةَ قَالَهَا عَنْ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ
لَا نَخَافُ الْمَوْتَ لِلْمَبْدَأِ صَامِدُ
وَلَا يَهُمُّهُ عَصِيَانُ الثُّمَرَادِ

ويؤكد المدني على هذه الفرحة الشعبية بالاستقلال الصارخة في وجه القوات الاستعمارية، فسعت إلى كتمها وإطفاء نورها لتعطيل بزوغ فجر الحرية المظفرة، فيعلن الشاعر فرحته متباهياً بزغاريد النساء في الشوارع بأناشيد الثورة، فهذه الصيحات تدخل الحماس وتولد المجد فإنه «حب الوطن في الثورة الجزائرية الكبرى نمته الأحداث وعمقته المآسي حتى صار مقدسا إلى أقصى درجة التقديس، ولذا صار التشبث به عاطفة سامية لأن الوطن لا يمثل التراب فقط بل يمثل كيان الإنسان الروحي، والمادي وأسرار الحياة بل أنه رمز الحرية والانطلاق....»⁽¹⁾ ينتشر صدها في المدن والقرى والمداشر: ⁽¹⁾

نَشِيدُ الْحَمَاسِ نِسَاءً تَزْعُرُ
فِي شَوَارِعِ وَالْتَوَاقُ ظَاهِرٌ زَادُ
صَوْتُ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ تَنْشُدُ
تَسْمَعُ لِلشَّبَابِ يَدْعُو لِلْإِشْرَادُ
حَيَاكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ الْمَجْدِ
نَشْعَرُ بِحِمَاسِكُمْ وَنُحِبُّكُمْ بِأَجْتِهَادُ
أَنْتُمْ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَى تَشْهَدُ
أَنْتُمْ فِي الْجِبَالِ مَهْدْتُمْ مَهْدَادُ
أَنْتُمْ لِلْعَدُوِّ مِنْكُمْ يَرْتَعِدُ
أَنْتُمْ يَسْمَعُ صَوْتَكُمْ يَرْجِعُ مَرَادُ

يعرج المدني في نشيده على وصف جرائم المستعمر، إذ لا تغادر ذاكرته ولا تبارح شعوره، فيصف بشاعة جرائمه مستعملا جملا وتعابيرا مدوية ذات جرس قوي ينم عن سخطه وغضبه بلغة شديدة تفرغ الآذان وتوقظ الإحساس وتنبه الشعور وتشد الإدراك لهُول جرائمه المرتكبة ضد أبناء الشعب الجزائري، فهذه العاطفة الصارخة تليقها العاطفة المتواجدة في نفس المدني الناتجة عن كفاحه الطويل ليذكر الشعب الجزائري بأعمال المستعمر، ويكشف صورته المزيفة، ومهما حاول الشاعر «اختيار الألفاظ الخادعة والتعابير المضللة التي تهن الجامدين وأنصار الاحتلال الفرنسي، فإن الشعب الجزائري قد تكونت لديه القناعة الكافية بأن كل ما تنشره إدارة الاحتلال ليس سوى نشر مغلف بالخبث وسوء النية حتى ولو كان ظاهره يحمل الخير ونبيل المقاصد»⁽¹⁾ فيقول: ⁽¹⁾

لَا يَوَهِّبُكُمْ الْجَيْشُ الْعَدُوِّ الْمَمْرُدُ
فُؤَةُ الطُّغْيَانِ الظُّلْمِ وَالْفُسَادُ
قَتَلَ الْأَبْرِيَاءَ ظَاهِرٌ مَعْتَمِدُ
هَكَذَا تَرَى حَالَةَ الْبِلَادِ
إِذَا أَشْرَفَتْ الْوُفُوعُ لَيْسَ لَهُ حَدُ
جَرَحَ الْوُحُوشِ فَابْتَثَ الْمَعْتَادُ

عَيْبَ عَارٍ عَلَيْكَ فِي هَذَا الرُّقَادِ
انْصَحْ فِي الْعَمَلِ بِكُلِّ اجْتِهَادٍ

أَفْهَمَ يَا جَزَائِرِي يَا لِي رَاقِدٌ
أَتْرَكَ الْأَوْهَامَ أَعْمَلَ اجْتَهَدَ

3-التغني بالراية - العلم الجزائري -

فإذا كان الشاعر قد تغنى بالجزائر وثورتها واستقبال استقلالها الذي طالما حلم به وناشده في خواطره وجولاته الشعاعية بأرضه، فهو لا يملك إلا أن يعترف براية الجزائر التي استشهد لأجلها الآلاف من الشهداء، «فهي راية العز والسيادة باخضرارها واحمرارها وبنجمتها الخماسية إنها راية دولتنا المستقلة التي يجب أن نعتز بها، ونمكّن لها وندافع عنها لأنها تظلل المجاهدين في الجبال والوهاد، فهي ترفرف دوماً، إنها راية الأجداد والأحرار»⁽¹⁾.

إن الشاعر الشيخ لخضر بن الضغير يشيد بالعلم الجزائري ويؤمن به كرمز للجزائر وحريتها ويضع الثقة في الثورة منذ انتصاراتها الأولى، فوصفه في نشيد "تحية العلم الجزائري" الذي نظمته بمناسبة إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سنة 1958م، «مشيدا فيها بالراية التي ظلت خفاقة سبعة عشر عاما في عهد الأمير عبد القادر الجزائري الذي قارع الاستعمار الفرنسي وهزّ كيانه، فهذه القصيدة تبين نفسية الشيخ المدني، وحب الصارخ للوطن ورموزه»⁽¹⁾.

أجل إن الشاعر لخضر يكثر من الإشادة بالثورة، ووصف ساحات القتال، وجو المعارك، والوطنيات، والتغني بالراية حيث يرى أن كل جزائري لا تظله إلا هذه الراية المقدسة، ولا يقتصر جمالها على الجزائري بل كل من ينظرها فهو يهرج بجمالها وتناسق ألوانها لذلك فهي مفخرة أبناء الجزائر، فلا بد على كل شاب جزائري الافتخار بها والدفاع عنها والتمكين لها، إنها راية الحرية والنصر راية الدولة الجزائرية التي انبعثت من جديد فيقول:⁽¹⁾

رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ دَلِيلُ يَبْكَ	وَأَنْتَ تَبْخُتَرُ هَنَا وَ هُنَاكَ
إِذَا عَشْتُ عَاشَ الشَّعْبُ أَمْسَمِيكَ	وَإِذَا مِتْ مَاتَ كُلُّ الشَّعْبِ أَمْعَاكَ
رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ	رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ
رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ حَيِّ لِيكَ	وَأَنْتَ عِنْدِي عَزِيزٌ فِي سَمَاكَ
إِذَا عَشْتُ عَاشَ الشَّعْبُ إِحْيِيكَ	وَالنَّفْسُ تَحِبُّ أَلْوَانَكَ وَ اتَّبَعَاكَ
رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ	رُفِرَ يَا عِلْمَ الشَّعْبِ
لَا نَرْضَى إِذْ مَا جَ لَيْسَ نَسْمَعُ فَيْكَ	لَا نَرْضَى اسْتِعْمَارَ يَشْتَرِكُ أَمْعَاكَ

لَا يَبْقَى اسْتِعْبَادٌ مَسِيطَرٌ عَلَيْكَ وَلَا تَبْقَى مَذْلُولٌ إِخْنَا فِذَاكَ

رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ

فالعلم بتاريخه الطويل ذو مكانة في نفوس الشعب، يمثل صورة الوطن المصغرة، وجدير «بأن يحظى من الشعر بوقفات تقديس وإجلال ولفترات افتتاح وهيام فتخفق في خفقاتها أوزانه وقوافيه، ولم يقل الشعر عن السلاح وفاء للعلم الجزائري فطالما حياه بطرف مطرق وقلب خاشع»⁽¹⁾، كدليل على مكانته لذا وصف العلم بريشته الشعرية وبالألوان التي «يستمدّها من الطبيعة الجزائرية، وأخلاق أبناء الجزائر ومواقفهم البطولية فالعلم فلذة من أكبادهم، ودفقة من دمائهم وقطعة من وطنهم الأخضر، ونسيج من عروقهم النابضة فهو بذلك أهل لأن يفدى»⁽¹⁾ بالغالي والنفيس فهو رمز الجزائر:⁽¹⁾

أَبْيَضُ أَخْضَرَ وَالْهَلَالُ بَحْمَةٌ تَضْوِيكَ زَيْنُ الطَّلَا كُلُّ مَنْ شَافَكَ حَيَاكَ

الجزائر وأولادها تتبأشر بِيكَ إِخْنَا مَوْجُودِينَ كُلَّنَا فِذَاكَ

رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ

صَحِينَا مَنْ شَافَ رَمَزُكَ كَيْ تَحْمِيكَ يَا حَبِيبَ الرُّوحِ مَا نَسْتِيكَ مَا بُهَّاكَ

هَانَتْ النَّفْسُ الْعَالِيَةُ تَمُوتُ عَلَيْكَ كَيْفَ تَحْيَا حُرٌّ أَنْتَ فِي عِلَاكَ

رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ

ويشتد حب الجزائر عند الأخضر بن الصغير فيسخر من المستعمر، ويباهر بعدائه وعدم رضاه بحالة الاستعباد والإذلال:⁽¹⁾

رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ أَبَدًا لَا تَخْلِيكَ وَنَضْحِي بِالرُّوحِ لِأَنِّي نَهْوَاكَ

هَذَا شَيْءٌ مُحَالٌ لَا نَفْرَطُ فِيكَ أَمَا تَحْيَا حُرٌّ أَمَا تَمُوتُ أَمْعَاكَ

رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ رُفُوفُ يَا عِلْمُ الشَّعْبِ

ويواصل الشيخ لخضر تمجيد العلم الجزائري في نشيده الوطني، الذي التقطته السواعد وسكن أفئدة الشعب، العلم المفدى لا يزال صاعدا إلى العلا، ولا يزال أبناء الشعب يباعونه الواحد تلو الآخر فهو علم الثوار ومفخرة الجزائر وصرخات اليتامي وألوانه دماء الشهداء وعزُّ مقدس للجمهورية الجزائرية:⁽¹⁾

أَنْتَ الْأَزْدِهَازَ وَالْحَيَاةَ بَيْنَكَ
يَا عَزَّ الْوَطَنَ كُلَّ آخِرَ يَهْوَاكَ
أَنْتَ دَمَ الشُّهَدَاءِ مَائِلَ فَيْكَ
أَنْتَ رَمَزَ الْحُرِّيَّةِ يَا عَلَمَ مَا بَهَاكَ
رُفُوفَ يَا عَلَمَ الشَّعْبِ رُفُوفَ يَا عَلَمَ الشَّعْبِ

الْمَدِينِ رَحْمُونَ جَابَ الشَّعْرَ عَلَيْكَ
فِي جَيْشِ السَّحْرِ يُكَافَحُ أَعْدَاكَ
الْجُمْهُورِيَّةَ الْجَزَائِرِيَّةَ تَفْتَحُ بَيْنَكَ
بِفَضْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْلَاصِ أَمْعَاكَ
رُفُوفَ يَا عَلَمَ الشَّعْبِ رُفُوفَ يَا عَلَمَ الشَّعْبِ

هكذا يكون العلم رمزا عظيما يتباهى به الشاعر ويتغنى بألوانه ويشيد بحامليه، بعد أن أشاد بالثورة والوطن، وتغنى بهما يهزه الألم، ويتضوعه الحب إلى أولئك الرجال الذين يعيشون في أتون اللهب المقدس فلا تملك نفسه إلا وهو يستعرض تلك الصور البشعة إلى ارتكبتها المستعمر بأرض الجزائر حيث يراها تمر كمشاهد أمام عينيه.

4-الإشادة بالاستقلال :

بعد الاستقلال شارك الشاعر المدني رحمون الشعب الجزائري فرحته بالاستقلال فهو اليوم الذي طالما انتظره كجزائري حر يحمل في قلبه آمال الوطن السعيد، وكيف نشك في شعوره و قد قدم للجزائر أغلى وأحلى أيام شبابه هائما على وجهه ينشر صوته، ويظهر صورتها في الملقنيات الدولية والمحافل الوطنية، وقد تكبد من أجلها أسوأ المواقف من باريس إلى إنجلترا إلى بلغاريا إلى المشرق العربي إلى فلسطين، وغيرها من الرحلات التي سعى من خلالها إلى الجهاد، وإعلاء صوت الجزائر، فهاهو يرى ثمره عمله مزهرة يانعة يقطفها بالحب والحنين لا يرجو ثمنا ولا مكافأة ترك ذلك لله تعالى، ليعبر عن هذه المشاعر الفياضة نظم الشاعر نشيد الاستقلال في 1962/1/12م يتغنى فيها باستقلال الجزائر، مخاطبا الشعب الجزائري مبشرا مهنئا :⁽¹⁾

افرح يا شعب بالاستقلال

لَا تُخْزَنُ يَا شَعْبَنَا جَاتَكَ الْأَفْرَاحُ
رَأَى قَرَبَ لَيْكَ عَيْدَ الْإِسْتِقْلَالِ
هَذَا نَشِيدِي عَنْ فَرَحَةِ قَلْبِي بَاحٍ
نَغْنِيهِ فِي الْجَزَائِرِ مَعَ الْأَبْطَالِ
لَا تُؤْهِمُ وَتُقُولُ فَاتَ الْوَقْتُ رَاحَ
كُلَّ شَيْءٍ مَخْلُوفٍ مُوَلَّ الصَّبْرِ يَنَالُ
أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا الصَّبْرَ مِفْتَاحُ
وَفَتَحَ الْأَبْوَابَ يَلْزِمُ طُولَ الْبَالِ

افرح يا شعب بالاستقلال

نظم شاعرنا هذا النشيد بغرض التغني بفرحة الاستقلال، رغم ذلك فالمديني لا تفارق خياله صورة فرنسا وأعمالها وتنكيلها بالشعب فيصفها بأخس النعوت والأوصاف، وحيلها بالماكرة الشنيعة في معاملتها للشعب الضعيف، فلا بد من الثأر منها فيدعو إلى محاربتها «وكشف مناورتها المختلفة التي كانت تهدف من ورائها إلى القضاء على هذا الوطن تدريجياً، فعملت على محو مقومات الشخصية، ووقفت في وجه كل القوى التي تحاول استرجاع كيافها، وعطلت كل وسائلها وشدت عليها الخناق حتى يتسنى لها القضاء المبرم بكل سهولة من تشجيع للجهل، واستغلال للخيرات والموارد وابتزاز الأموال، بينما الجزائريون يعانون آلام الجوع والفقر والجهل والمرض والحرمان»⁽¹⁾، فيقول: (1)

أَنْتَ تَحَارَبُ فِي مَجْرَمٍ ظَالِمٍ سَفَاحٍ	خَادِعٌ وَمَكَارٌ يَكْذِبُ فِي الْأَقْوَالِ
لَيْسَ فِيهِ أَمَانٌ مَا عَدَا إِذَا طَاحَ	يَتَكَسَّرُ عَظْمُو يَصْبَحُ مَذْلَالٌ
لَا تَشْفَقُ عَلَيْهِ رُبَّمَا يَرْتَفَحُ	تَفْرَعُلُ خَزِينَتُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
ذَاكَ الْحَيْنَ يَكُونُ يَطْلُبُهُ فِي الْإِصْلَاحِ	أَمَامَ الْقُوَّةِ يَخْضَعُ لِلْأَبْطَالِ
لَعَبْتُ الاستعمارُ تَذْهَبُ فِي الْأَرْيَاحِ	عَدُوَ الْحَيَاةِ وَعَدُوَ الْأَجْيَالِ

افرح يا شعب بالاستقلال

من خلال الأبيات السابقة يبدو أن الشاعر مازال مشدودا إلى ساحات القتال والمعارك من خلال نشيده الذي يفضح فيه جرائم المستدمر الذي كان ينتهج المناورة والاحتياي والمكر والخداع لإجهاض الثورة في مهدها، ويوظف القوة المسلحة المبيدة للشعب الجزائري للقضاء على المجاهدين، لكن شاعرنا يشحذ همم المجاهدين بأن خططه مفضوحه وأمره قد قضى ومصيره الزوال والجلاء عن الجزائر، مما يدفعهم قدما لتحقيق أهدافهم وإحراز الاستقلال.

ولعل الأسلوب المنتهج من طرف شاعرنا من أهم السمات الموضوعية للنشيد الوطني الشعبي، الذي وضع بغرض التغني به في أوقات السير للمعارك أو أثناء التوجه للكمان والمشادات بين قوى المستدمر، مما يجعل الشاعر يصغر ويقزم ويجرم الجنود الفرنسي، وفي مقابله يتغنى بالمجاهدين وبطولاتهم وبالثورة وانتصاراتها، وهذا يظهر في قوله :

وَطَنُكَ حَرَزْتُ بِقُضْلِ الْكِفَاحِ
 الْفِدَائِينَ شُبَّانَ الْبَطَاحِ
 فِي أَرْضِ الْوُطَنِ كُلُّهُمْ سُوحِ
 صَوْتُكَ يَدْوِي صَارَ فِي الْعَالَمِ مُبَاحِ
 تَقْرَأُ فِي الصُّحُفِ مَقَالَاتُ أَمْلَاحِ
 بِحَرْبِكَ وَشَجَاعَتِكَ تَحْيِيبُ الْأَسْتِقْلَالَ
 وَالْمُقَاوِمِينَ يَسْكُنُوا الْجِبَالَ
 يَخُذُ فِي بَارِيسَ أَبْطَالَ النِّصَالِ
 فَاتِ سَبْعَ سِنِينَ وَأَنْتَ فِي الْقِتَالِ
 غَرْبَ وَشَرْقَى يَكْتُبُ عَنْكَ مَقَالَ

إن الشاعر المدني يشيد بأرض الجزائر المحررة وبكفاح الفدائيين المقاومين الساكنين الجبال، فهم سرج الوطن بل يتعدى نضالهم ليصل باريس في عقر دار العدو الغاشم، فصوتهم يدوي العالم والمحافل الدولية، فبعد سبع سنوات من القتال ظهرت النتائج وقد نشرت الصحف في كل أرجاء العالم، مشيدة بالثورة ومنكرة على فرنسا احتلالها للجزائر.

ويختتم الشاعر المدني نشيده بإرسال تحية ثورية إلى من وقف مع القضية الجزائرية وساند الثورة النفس والنفس، من رؤساء وحكومات وأشخاص اعترافا بالجميل وإكبارا لمواقفهم الشجاعة: ⁽¹⁾

نُشْكِرُهُمْ جَمِيعَ الْمُضَامِنِينَ الصَّحَاحِ الْمَدِينِي رَحْمُونَ مِنْ غَيْرِ سُؤَالِ
 تُورِتْنَا الْمُبَارَكَةَ أَهْلَهَا مَلاح قَامُوا بِالْإِخْلَاصِ يُخْجَو فِي الْأَعْمَالِ
 كَانُوا عَنْ ثِقَةٍ بِالشَّعْبِ صَرَاحِ كُلِّ آخِرٍ مِنْهُمْ عَاهِدٌ بِالنِّصَالِ
 إن شاعرنا من خلال أبيات نشيده يثمن جهاد المجاهدين وتضحيات الشهداء في سبيل الله لتحرير وطنهم، ويستبشر بأعمالهم الجليلة وتضحياتهم الجسيمة، ويعنبر ما قدموه هو أمانة في يد الأجيال القادمة أجيال الاستقلال الذين عليهم المحافظة على الحرية كمكتسب عظيم: ⁽¹⁾

بِالصَّدْقِ وَالْإِيمَانِ بَلَّغُوا لِلْفَلَاحِ
 نُورَ الْجَزَائِرِ ثُمَّ لِدُنْيَا لَأَخِ
 عِنْدَ الْأَسْتِقْلَالِ عَنَّا رَاهُ لَأَخِ
 تَسْمَعُ عَنْ قَرِيبٍ فِي صَوْتِ الْبَرَاخِ
 تَوْفُوا بِالْعَهْدِ يَقَعُ السَّمَاخِ
 دَمَ الْأَبْرِيَاءِ فِي الْأَرْضِ سَاخِ
 هَذِهِ الصِّفَاتُ أَسَاسُ الْكَمَالِ
 بَاقِي الْإِنْتِظَارِ طُلُوعُ الْهَلَالِ
 عَلَامَاتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْإِحْتِفَالِ
 خَدَمَةُ الْوُطَنِ الْوَاجِبُ مَزَالِ
 ارْحَمْ يَا رَبِّ شُهَدَاءَ النِّصَالِ
 هُمْ أَخَوَانَا جُمْلًا فَرْدًا عِيَالِ

كان لأثر فرحة الاستقلال في نفوس الجزائريين أثر عظيم، وكبير لأنهم استنشقوا نسيم الحرية، وتنفسوا في أجوائها فقد غداها الثوار بجهادهم، واتخذوا من أجلاها الجبال مساكنًا ومقرا وسقاها الشهداء بدمائهم الزكية الطاهرة،

وقدموا أجسادهم المعطرة النقية طريقا معبدا لها فبدأت حياة مستقلة، وتأهب الشعب لاستقبال عهد جديد «لتبدأ التهيئة هذه من لحظة جلوس الوفد الجزائري إلى مائدة المفاوضات بـ"إيفيان" في مارس 1962»⁽¹⁾. فاشغل كل الجزائريين بمتابعة الأخبار بكل شغف وشوق للحرية وأملا في الاستقلال، وهاهي الأيام والساعات تتوالى سريعا لتعم الفرحة كل أنحاء الجزائر «الساعة الثامنة ليلا التاسع عشر من شهر مارس لسنة ألف وتسعمائة واثنين وستين ، هذه "زغرودة" انبعثت من هذا الحي لحقتها أخرى وأجابتها أخريات من الحي المقابل»⁽¹⁾.

خاتمة :

من خلال دراستنا للجانب التعبوي للنشيد الشعبي الثوري نرصد النتائج التالية:

- 1- اهتم الشاعر الشعبي بخطاب النشيد الثوري نظما وإيقاعا لعلمه بتأثيره التعبوي في النفوس والعقول وحبه من طرف المتلقي الذي يتفاعل مع أسلوبه وتعبيره وموسيقاه.
- 2- تضمنت الأناشيد الثورية العديد من المضامين الثورية وأهمها التغني بالثورة ومعاركها ومنجزاتها وبالجزائر وطنا وأرضا طيبة، والإشادة بكفاح المجاهدين وتضحيات الشهداء الأبرار، والتغني بالراية الجزائرية ووصف حبها لدى الشعب الجزائري ومكانتها الغالية في قلوبهم، كما أشادت الأناشيد بالاستقلال وتغنت بفرحته وأثرها على الشعب الجزائري وبينت استقباله لها، والاحتفال بما رافعا أناشيد الثورة والوطن المحرر.
- 3- كان النشيد الثوري أحد القوالب الشعرية للقصيدة الشعبية الثورية الجزائرية، واکب فترة هامة وحساسة في تاريخ الجزائر فأرخ لها وحفظ أحداثها، وتفاعل معها في فنية وجمالية مؤثرة.
- 4- لم يلتزم النشيد الثوري الشعبي عند شعراء موضوعا بعينه في أغلب الأحيان، وتعدد الموضوعات غير أنها لم تخرج عن الثورية والوطنية، وعلى العموم فالشاعر لم يدخر عاطفة أو فكرة أو إحساسا إلا وصاغه في أناشيده الوطنية الذي يمنح المتلقي شعورا بالاعتزاز بالقيم الثورية والافتخار بالجزائر.

الهوامش :

- ¹ -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، م 3، ص 421 .
- 2- نفسه، م 3، ص 421 .
- 3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار صادر، بيروت، لبنان، م 1، ص 2299 .
- 4- نفسه، م 1، ص 2299 .

- ⁵ - الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، م 1، ص 1249 .
- ⁶ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، تصوير دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306هـ، المجلد 1، مادة نشد، ص 2299 .
- ⁷ - التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م-1945 م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985 ص 97 .
- ⁸ - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلية الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء - الشكل - الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون - الجزائر، 1998م، ص 22 .
- ⁹ - نفسه، ص 98 .
- ¹⁰ - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 234.
- ¹ - الشيخ لخضر بن الصغير الليشاني، الديوان، جمع وشرح عبد اللطيف حني، مخطوط ص 43.
- ¹² - نفسه، ص 43.
- ¹³ - الشيخ المدني رحمون، الديوان، جمع وشرح عبد اللطيف حني، مخطوط، ص 52.
- ¹⁴ - نفسه، ص 52.
- ¹⁵ - نفسه، ص 52.
- ¹⁶ - نفسه، ص 52.
- ¹⁷ - نفسه، ص 42.
- ¹⁸ - نفسه، ص 42.
- ¹⁹ - نفسه، ص 42.
- ²⁰ - نفسه، ص 43..
- ²¹ - يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء (دراسة فنية تحليلية)، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، ط1، 1987، ص 121.
- ²² - المدني رحمون، الديوان، ص 43.
- ²³ - سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1998، ص 32.
- ²⁴ - صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 240.
- ²⁵ - لمدي رحمون، الديوان، ص 43.
- ²⁶ - حواس بري، شعر مفدي زكرياء (دراسة وتقويم)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1994، ص 73.
- ²⁷ - لمدي رحمون، الديوان، ص 33.
- ²⁸ - نفسه، ص 33.
- ²⁹ - أنيسة درار بركات، أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945م حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 102.
- ³⁰ - المدني رحمون، الديوان، ص 33.
- ³¹ - نفسه، ص 33.
- ³² - محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر (1954م-1962م)، رسالة ماجستير في الآداب، تحت إشراف الدكتور العربي دحو، جامعة باتنة، 1985، (مخطوطة على الآلة الرقنة)، ص 130.

- ³³- المدني رحمون، الديوان، ص. 33.
- ³⁴- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة، ص. 334.
- ³⁵- المدني رحمون، الديوان، ص. 33.
- ³⁶- التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983، ص. 85.
- ³⁷- عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيان : المقاومة الشعبية بمنطقة الزيان في القرن 19 " ثورة العامري 1876 م " ، مطبعة سوف الوادي، الطبعة الأولى، 2000، ص. 35.
- ³⁸- لخضر بن الصغير، الديوان، ص. 52.
- ³⁹- صالح الخزي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1983، ص. 284.
- ⁴⁰- نفسه، ص. 285.
- ⁴¹- لخضر بن الصغير، الديوان، ص. 52.
- ⁴²- نفسه، ص. 52.
- ⁴³- نفسه، ص. 52.
- ⁴⁴- الشيخ المدني رحمون، ص. 47.
- ⁴⁵- كمال عجالي، أبو بكر مصطفى بن رحمون حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط ، 1991، ص. 151.
- ⁴⁶- المدني رحمون، الديوان، ص. 47.
- ⁴⁷- نفسه، ص. 47.
- ⁴⁸- نفسه، ص. 47.
- ⁴⁹- نفسه، ص. 47.
- ⁵⁰- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، ص. 152.
- ⁵¹- نفسه، ص. 153.